يخلص إلى الحقيقة بأن كل من يلبس زيّ الجيش الإسرائيلي، ويحمل سلاحه، ويقوم بمهامه، فإنه لا حرج من استهدافه بعمليات المقاومة.

ومما كان يزيد المعضلة تعقيداً أن التناقض كان كبيراً في مجتمع البدو في الأراضي المحتلة عام (٤٨)، فقد كان أئمة المساجد يرفضون الصلاة على هؤلاء القتلى وتشييع جثامينهم أو الدعاء لهم، والكثير من العائلات كانت ترفض لف توابيت أبنائها بالعلم الإسرائيلي أو أن تجري لها جنازات عسكرية رسمية. وإزاء كل ذلك كان إبراهيم يردد جملته المعتادة: انظروا إلى أي حد نجح اليهود في تجنيد جزء من أبناء شعبنا لحراسة أمنه.

مرة أخرى يطير عقل القادة الإسرائيليين من الجرأة والقوة التي يعمل بها عماد ومن الحرج الشديد الذي يسببه لهم، والذي سيظهرهم بمظهر الهاربين من غزة هروباً من المقاومة وليس خروجاً وفقاً لاتفاق سياسي مع جهة رسمية، قائد المنطقة الجنوبية يجمع ضباطه من الجيش ومن المخابرات ويدق لهم على الطاولة قائلاً: أريد رأس عماد، كل العمل يجب أن يتركز على ذلك فينطلق الجميع ليقوموا بدورهم في ذلك.

آلاف الصور لعماد، بلحية وبدون لحية، بكوفية وبدون كوفية، بشعر طويل وبشعر قصير، بنظارات وبدون نظارات، يتم توزيعها على الجنود الذين ينشرون مئات الحواجز في كل أنحاء القطاع، يفتشون وينقبون ويداهمون البيوت، وعلى رأسهم رجال المخابرات. رجال المخابرات من جانب آخر يتصلون بعملائهم، منهم من يستدعونهم إلى مكاتبهم، ومنهم من يقابلونهم بطريقة التقائهم على جوانب الطرق النائية، يرون صور عماد المختلفة ويطلبون منهم مراقبة النشطاء ممن يعتقد أن يكون له علاقة معهم، أو تردد عليهم والتبليغ الفوري عن كل حركة أو معلومة.

الكثير من النشطاء أصبحوا تحت المراقبة شبه الدائمة وقد لاحظنا أن اثنين كانا يتبادلان مراقبة باب الدار، والكثير من الدور والبيوت التي يعتقد أو يفترض أن عماداً قد يتردد عليه وُضعت تحت المراقبة.

أحد العملاء كان يراقب بيت "أبو نضال" في الشجاعية، فيبدو أنهم اشتبهوا بالبيت أو أفلتت كلمة من أحد الأولاد الصغار في الدار لصديق له، يتباهى بقدوم عماد لبيتهم، وفي مساء أحد الأيام انسل عماد بهدوء إلى دار "أبو نضال"، فاستقبلته العائلة بالحب والوفاء كما هي العادة،وسارعت أم نضال تجهز له الطعام، فقد كان يومها صائماً، ارتفع صوت أذان المغرب ورفع عماد إبريق الماء الفخاري إلى فمه، ليرتشف منه بعض